تأثير الأجهزة الالكترونية–الهواتف– على العلاقات الأسرية

الباحث إبراهيم أوخراز
طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الدراسات التطبيقية في الشريعة والقانون، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الشريعة والقانون، فاس
المغرب

الملخص:

يواجه العالم اليوم تحديا كبيرا لمواكبة التقدم المستمر والمتزايد في المجالات التكنولوجية المختلفة، فمنذ منتصف القرن العشرين دخلنا عصرًا جديدًا أُطلق عليه «عصر المعلومات» أو «عصر التكنولوجيا الرقمية»؛ لذا فإن إدراك الفرد للتطور الحاصل ومقومات هذا العصر وارتباطه به أصبح أمرًا حتميًا؛ حتى يستطيع الاستفادة من التقنيات الحديثة والتقدم التكنولوجي الذي ينمو بشكل يومي، في ظل هذا التطور المذهل تقدمت أساليب وتقنيات الاتصال، إذ تعددت الوسائل الحديثة وظهر إلى جانب الهاتف الفاكس والإنترنيت وأنواع مختلفة للهاتف ،كالهاتف الذكي، وهو آخر ما توصل إليه العقل البشري في مجال الاتصالات، وقد أسهمت هذه الوسائل في تقريب البعيد واختصرت المسافات.

وفي ظل هذا التطور الرقمي نتجت تأثيرات كبيرة على القيم والعلاقات الاجتماعية، وهذا التأثير انصب كذلك على مؤسسة الأسرة باعتبارها أهم مكون من مكونات المجتمع، فالمتأمل اليوم في أوضاع الأسرة يجد أن التطور الرقمي أضحى جزءا لا يتجزأ من عادات أفراد مؤسستها، وأن الوسائل التكنولوجيا فرضت نفسها داخل هذه الخلية التي تواجه العديد من التحديات في هذا العصر، فالواقع اليوم يفرض أن تكون الهواتف الذكية والحواسيب داخل الأسرة، ومن خلال هذه الوسائل يستطيع أفراد هذه المؤسسة الاطلاع على العالم بكبسة زر واحدة، وخلق علاقات واكتساب معارف جديدة، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح أغلب أفراد هذه المؤسسة يعيشون عالما افتراضيا تكون له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع إن خرجت عن نطاقها المحدود، كما أن هذا التواصل الافتراضي الذي حل محل دور الأسرة الواحدة، أسهم في توسيع الفجوة وتكريس الصراع بين أفرادها.

وقد أدت الهواتف اليوم إلى تغير طريقة تعامل الأفراد داخل الأسرة، فبدل من أن يجتمع الزوجان وتجتمع الأسرة في لقاء عام للتحاور في أمورهم وما يهم كل فرد من أفرادها، وبسط الكل التحديات التي تواجههم سواء كانت أسرية أو اجتماعية أو دراسية، بدلا من ذلك فإن كل فرد داخل الأسرة يتوجه إلى زاوية من زوايا البيت أو غرفته، لاستخدام هاتفه الخاص والدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي للحديث مع أشخاص افتراضيين.

الكلمات المفاتيح: الأجهزة الالكترونية– الأسرة– الطور الرقمي– العالم الافتراضي.

The effect of electronic devices – phones – on relationships within the family.

Abstract:

Today, the world is facing a great challenge to keep pace with the continuous and increasing progress in various technological fields. Since the middle of the twentieth century, we have entered a new era called the "information age" or the "digital technology era"; Therefore, the individual's awareness of the development taking place and the elements of this era has become inevitable in order to be able to benefit from modern technologies and technological progress that grows on a daily basis. Because of this amazing development, methods and techniques of communication have become advanced, as many modern means have appeared such as the fax phone, the Internet, and different types of telephone, such as the smart phone, which is the findings in the field of communication.

These means of communication have made the distance between poeple short.

this digital development has great effects on values and social relations, and most importantly on the institution of the family as the most important component of society.

Today, one who contemplates the situation of the family finds that digital development has become an integral part of the habits of its members, and that technological means have imposed themselves within this cell that faces many challenges in this era.

The reality today dictates that smart phones and computers should be in the family, and through these means, the members of this institution can view the world with the click of a button, create relationships and acquire new knowledge, and through social media, most of the members of this institution are living in a virtual world that has dire consequences on the individual and society if it goes beyond its limited scope.

Additionally, this virtual communication, which replaced the role of the family, has contributed to widening the gap and perpetuating conflict between its members. Today, the telephone has led to a change in the way individuals interact within the family. Instead of the family gathering to discuss their affairs and what

concerns each of its members, and everyone discusses the challenges they face, whether they are familial, social or academic; nowadays each individual goes to a corner of the house or his room to use his own phone and access social networking sites to talk with virtual people.

Keywords: electronic devices – the family – interpersonal relationships – the digital phase – the virtual world

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

يواجه العالم اليوم تحديا كبيرا لمواكبة التقدم المستمر والمتزايد في المجالات التكنولوجية المختلفة، فمنذ منتصف القرن العشرين دخلنا عصرًا جديدًا أُطلق عليه "عصر الرقمنة" أو "عصر التكنولوجيا الرقمية"؛ لذا فإن إدراك الفرد للتطور الحاصل ومقومات هذا العصر وارتباطه به أصبح أمرًا حتميًا؛ حتى يستطيع الاستفادة من التقنيات الحديثة والتقدم التكنولوجي الذي ينمو بشكل يومي، في ظل هذا التطور المذهل تقدمت أساليب وتقنيات الإتصال، إذ تعددت الوسائل الحديثة وظهر إلى جانب الهاتف، الفاكس والإنترنيت وأنواع مختلفة للهاتف، كالهاتف الذكي، وهو من بين آخر ما توصل إليه العقل البشري في مجال الاتصالات، وقد أسهمت هذه الوسائل في تقريب البعيد، واختصرت المسافات، وساعدت في تطوير عمليات إجراء العقود التي عادة تكون في مجلس واحد، فتغيرت إلى عقود تجري عبر المراسلة الخطية التي ينقلها البريد العادي والفاكس والأنترنيت، أو المراسلة الكلامية التي ينقلها الهاتف أو الإنترنيت، وفي ظل هذا التطور الرقمي نتجت تأثيرات كبيرة على القيم والعلاقات الاجتماعية، وهذا التأثير انصب كذلك على مؤسسة الأسرة باعتبارها أهم مكون من مكونات المجتمع، فالمتأمل اليوم في أوضاع الأسرة يجد أن التطور الرقمي أضحى جزءا لا يتجزأ من عادات أفراد مؤسستها، وأن الوسائل التكنولوجيا فرضت نفسها داخل هذه الخلية التي تواجه العديد من التحديات في هذا العصر، فالواقع اليوم يفرض أن تكون الهواتف الذكية والحواسيب داخل الأسرة، ومن خلال هذه الوسائل يستطيع أفراد هذه المؤسسة الاطلاع على العالم بكبسة زر واحدة، وخلق علاقات واكتساب معارف جديدة، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح أغلب أفراد هذه المؤسسة يعيشون عالما افتراضيا تكون له عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع إن خرجت عن نطاقها المحدود.

ولكي تُضبط التصرفات في ظل كل هذه الوسائل، وكي لا يحيد الأفراد عن أحكام الشرع بذريعة التطور ومواكبة التقدم نجد الفقه المعاصر يحاول تأطير تصرفات الأفراد ويضبط تعاملاتهم، فقد تناول الأحكام الشرعية المتعلقة بوسائل التواصل الاجتماعي بل ذهب الى أبعد من ذلك حيث تحدث عن الزنا الاليكتروني والطلاق الاليكتروني، وأشار لكثير من الآثار الشرعية الناتجة عن استعمال الوسائل التكنولوجية كما نتجت عن ذلك نوازل فقهية معاصرة بهذا الصدد.

وبما أن الأسرة أصغر وحدة قياسية لبناء المجتمعات فقد تناول علماء الاجتماع التأثيرات الحاصلة على مؤسسة الأسرة في ظل الوسائل التكنولوجية وعلى رأسها الهواتف الذكية التي اعتبرها البعض سببا رئيسيا في التفكك الأسري وحاولوا دراسة الظاهرة بشكل مستفيض واقتراح حلول تحول دون تخريب المزيد من المؤسسات الأسرية، والقانون كذلك لم يكن بعيدا عن مواكبة هذا التطور الرقمي، فكلما استجدت ظاهرة من الظواهر الاجتماعية إلا وتم خلق ترسانة قانونية تؤطرها وتبين تصنيفها القانوني وتبين الآثار المترتبة عنها.

وانطلاقا مما ذكر أعلاه فأهمية هذا الموضوع: تأثير الأجهزة الاليكترونية – الهواتف –على العلاقات البينذاتية داخل الأسرة، تكمن في تسليط الضوء على وضعية مؤسسة الأسرة في ظل التطور الرقمي الذي تشهده جل المجتمعات في الآونة الأخيرة، بحيث أصبحت هذه الهواتف جزءا لا يتجزأ من تعاملات الأشخاص في جميع المجالات، ومؤسسة الأسرة على غرار باقي المجالات شهدت بدورها نوعا من علاقة التأثير والتأثر بالتطور الرقمي، وقبل الانتقال إلى إشكالية الموضوع الذي نحن بصدد دراسته لابد من معرفة مفهوم مصطلح **البينذاتيّة**، فهو من المصطلحات المعاصرة التي تشير إلى تأسيس طبيعة العلاقة بين الذات والغير، والغير هنا قد يكون موضوعاً خارجياً أو ذاتاً أخرى مقابلة، أو قد يكون موضوعاً في الذات نفسها سواء كان هذا الموضوع ذاتاً أخرى أم لا. وبالرغم من أن هذا المصطلح من المصطلحات المعاصرة إلا أنّنا نجد ملامحه في الفلسفات الحديثة، كمحاولة لإيجاد ملامح إمكانية العلاقة بين الأنا والغير ولابد أن نشير إلى أن ديكارت وكانط وأفلاطون هم الفلاسفة الذين أسسوا لفلسفة الذاتيّة.

وإشكالية هذا الموضوع يمكن صياغتها على الشكل التالي: ما مظاهر تأثير الأجهزة الالكترونية على العلاقات البينذاتية داخل الأسرة؟ وما سبل الحد من تأثير هذه الأجهزة؟ وسأجيب عن هذه الإشكالية في محورين، سأتحدث في **الأول** عن مظاهر تأثير الأجهزة الإلكترونية على العلاقة بين الزوجين على أن أتناول في المحور **الثاني** مظاهر تأثير الأجهزة الالكتروني على الأطفال.

المحور الأول: مظاهر تأثير الأجهزة الإلكترونية–الهاتف–على العلاقة بين الزوجين

لعقود طويلة ظلت الأسرة بجانب المدرسة والمسجد تقوم بدور أساسي في تكوين مدارك الانسان وثقافته وتسهم في تشكيل منظومة القيم التي يتمسك بها ويتخذها معالم تتحدد من خلالها مقومات السلوك الاجتماعي بما فيها علاقات الآباء بالأبناء.

أما اليوم فقد انتقل جزء كبير من هذا الدور إلى شبكات الإنترنيت والهواتف النقالة والبرامج المتصلة بها بالإضافة للألعاب الاليكترونية، الأمر الذي فتح الباب أمام أنماط من التواصل الافتراضي الذي حل محل دور الأسرة الواحدة، مما أسهم في توسيع الفجوة وتكريس الصراع بين أفراد الأسرة، كما أن تحولات الاتصال التكنلوجي تشير إلى إفراز تفاعلات جديدة للعلاقات الزوجية أدت إلى تعزيز العزلة والتنافر بينهما [1].

وقد أدت الوسائل التكنلوجية وعلى رأسها الهاتف إلى تغير طريقة تعامل الأفراد داخل الأسرة فبدل من أن يجتمع الأزواج وتجتمع الأسرة في لقاء عام للتحاور في أمورهم وما يهم كل فرد من أفرادها، ويبسط الكل التحديات التي تواجهه سواء كانت أسرية أو اجتماعية أو دراسية، فإننا نرى كل فرد داخل الأسرة يتوجه إلى زاوية من زوايا البيت، أو غرفته الخاصة لاستخدام هاتفه الخاص والدخول الى مواقع التواصل الاجتماعي للحديث مع هذا وذاك، بل أكثر من ذلك فإنه من خلال هذه الوسائل يتم الاتفاق داخل الأسرة بأمر من الآباء على إجراء بعض الأنشطة أو توجيه بعض الأوامر، فالآباء من خلال مجموعة على –الواتساب – يتحاورون معا حول قضية معينة، ويتفقون على بعض الإجراءات ليتوصلوا إلى بعض القرارات التي تهمهم، وكل فرد من أفراد الأسرة في غرفته الخاصة، فالعلاقات الأسرية بوجه عام والعلاقة بين الزوجين بوجه خاص تحولت تحولا جوهريا وأخذت تلك العلاقات شكلا آخر عما كانت عليه قبل ظهور شبكة الانترنيت[2].

وأصبح كل فرد يعيش في عالمه الافتراضي، فالأزواج يجتمعون في بيت واحد لكن كل واحد منهم يعيش في عالمه، وهذه من المشاكل التي جاءت بها هذه الوسائل وهي ملاحظة في أغلب البيوت فأجسادهم في نفس البيت، لكن قلوبهم في عوالم مختلفة، وهذا مؤشر خطير يكشف أن التواصل الإلكتروني بدأ يحل محل التواصل الإنساني، حيث ظهر الصمت والجمود في العلاقات الإنسانية نتيجة ملء الفراغ الذي أحدثه هذا التواصل[3]، والكثير من الأسر شهدت صراعا مستمرا بين الآباء والأبناء، فالأب والأم يظلون في عراك مستمر مع الأبناء بسبب هذه الوسائل التكنلوجية، لأنها إما تبعدهم عن مهامهم وواجباتهم الأسرية فانشغلوا عنها، أو قصروا في القيام بما عليهم من واجبات تجاه الأسرة والمجتمع، أو أشغلتهم عن أهدافهم الرئيسية ومستقبلهم الحقيقي ومستقبل أسرتهم، وبدلا من أن تعمل هذه الوسائل– الهاتف– على زيادة الألفة والقرب داخل الأسرة كونها وفرت المعلومات والمعارف الغنية والمتنوعة التي تستطيع الأسرة من خلالها تقوية روابطها وتنمية علاقاتها، بدلا من ذلك، توسعت الفجوة بين أفرادها، وأصبح الأزواج يشعرون بتباعد المسافة فيما بينهم ومع باقي أفراد العائلة، فقد يكون الزوج بجانب زوجته، وفي غرفة أو سرير واحد، لكن بقلب ومشاعر وحوارات في بلد آخر، أو في مكان آخر أقصى الشرق أو أدنى الغرب مع شخص آخر ،كما أصبح التواصل بين الأزواج يقتصر فقط على الجمل القصيرة التي تقتضيها الضرورة، فعوضا من أن يتحاور الأزواج مع الزوجات حول مشاكلهم العاطفية ومشاكل أبنائهم الدراسية يفضلون التوجه إلى الانترنيت وكأن البحث عن الحلول لمشاكلهم في العالم الافتراضي أفضل من العالم الحقيقي[4].

ويمكن القول: إن كل ما يقع في ظل هذه التحولات التكنلوجية، يعزز ما افترضه مارشال ماكلوهان في نظريته الحتمية التكنلوجية، أن تكنلوجيا الاتصال أصبحت جزءا من حياتنا اليومية والتي اعتبرها بأنها امتداد لحواس الإنسان ولها الأثر البالغ في مختلف الجوانب التي نعيشها.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن بعض الدراسات [5] توصلت إلى غياب التواصل بين الزوجين بحيث غاب الحوار بين الزوجين بسبب تأثير مواقع التواصل الاجتماعي المفتوحة بالهواتف على الحياة الزوجية، فبعد أن كان هناك حوار هادف وبناء وتواصل بين الزوجين باتت الغلبة للتواصل عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وهو أمر خطير ظهر تأثيره جليا على الحياة الزوجية التي تعاني أمراضا مزمنة، مثل تبلد المشاعر والجفاف العاطفي وعدم الشعور بالآخر، كما ظهرت ظاهرة جديدة نتيجة الممارسات الافتراضية لهذه المواقع، وهي الطلاق النفسي انطلاقا من كون أن كل زوج أصبح له عالمه الخاص المليء بالكثير من العلاقات الوهمية غير الواقعية، مع مرور الوقت يتولد لدى الطرفين طلاق نفسي كلي، كما أن الاستخدامات الكثيرة لهذه المواقع من طرف الأزواج تولد الغيرة لدى الأطراف بحيث أضحت محل نقاش يومي بين الأزواج والتي عادة يكون أسبابها هو أن يضع الزوج أو الزوجة إعجابا أو تعليقا أو مشاركة لمنشور، أو إضافة لشخص غريب وبالتالي جل الخلافات تبدأ بالغيرة بين الأزواج وتنتهي بالانفصال، كما أن عدم الوفاء والخيانة وفقدان الثقة يدفع الأزواج لمراقبة بعضهما البعض مما يولد الشك والخوف، بدلا من مشاعر الثقة والأمان ويدفع بعضهما إلى طلب كلمة المرور الخاص بحسابها الشخصي.

كما أن إدمان وسائل التواصل الاجتماعي دفع بعض الزوجات إلى إهمال الحقوق والواجبات الزوجية والتي ينتج عنها أحيانا وسوء استخدام هذه الوسائل يهدد استقرار العلاقة الزوجية، ويمزق أواصر التواصل بين أفراد الاسرة، وتزداد درجة العصبية في التعامل، وتكثر الخلافات التي تصل لدرجة الانفصال.

من هنا فإن تغيير شخصية الإنسان واختلال العلاقات الزوجية والعائلية، وتغيير منظومة القيم، وتهميش الثقافة المحلية والوطنية، هو نتاج لهذا الزخم الثقافي الوافد وتقبل ثقافة الآخر والهرولة نحوه، حيث أصبح يمثل رموزا مكانية تتأصل بفعل القوة المتدفقة في ظل غياب جهاز المناعة من الداخل، وبموجب ذاك يصبح الفرد والأسرة بل حتى الدولة بكل قطاعتها أمام تحدي كبير[6].

في ختام هذا المحور يمكن القول: إن الهواتف الذكية أحدثت خللا داخل البيوت وأحدثت شرخا في العلاقات بين الزوجين باعتبارهما المسؤولان عن قيام مؤسسة الأسرة، لذا لابد من تظافر جهود الآباء والأمهات، حيث إن عليهم مسؤولية ترشيد استعمال الانترنيت وبرامج التواصل الاجتماعي، للرفع من مستوى وعيهم وثقافتهم تجاه هذا التحول التكنلوجي، كما يجب على الجهات المعنية تخصيص مقررات وبرامج ثقافية للتحسيس بالمخاطر التي يمكن أن تعترضهم حين استعمال الهواتف الذكية استعمالا غير سليم، والواقع اليوم من خلال الوقوف على العديد من الأحكام القضائية وزيارة بعض أقسام قضاء الأسرة، يظهر أن أغلب حالات الطلاق تعود أسبابها إما إلى خيانة إلكترونية من أحد الأزواج، وشك أو انعدام الثقة جراء سوء استعمال هذا الوسائل وغياب المودة والرحمة بينهما.

المحور الثاني: مظاهر تأثير الأجهزة الإلكترونية–الهاتف– على الأبناء

رغم أن التقنيات الرقمية ساعدت الأسرة والأطفال والشباب على التعلّم وتطوير مهاراتهم في العديد من المجالات، حيث يستخدمون بشكل اعتيادي التطبيقات والمواقع الإلكترونية والخدمات عبر الإنترنت من أجل إكمال واجباتهم المدرسية، والبحث عن المعلومات والتواصل مع الأصدقاء، وتطوير المهارات والاستمتاع، لكن كل ذلك لم يكن دون أضرار، خاصة مع المكانة التي أضحت تحتلها الشاشات في حياتنا اليومية حيث أصبح أولياء الأمور يجدون صعوبة في التعامل مع أبناءهم وبناتهم، وازداد قلقهم بتراجع الوقت المخصص للجلسات العائلية، حيث أصبح الشباب يخصصون جل وقتهم الحر للشاشة، فتزايدت عدد الساعات التي يقضونها أمام مختلف الوسائط، مما تسبب في أضرار وأمراض لم تعد خافية على أحد، حيث إن العديد من الأبحاث الميدانية أثبتت أن التعرض المفرط للشاشات يؤدي إلى إبطاء التطور الفكري والعاطفي للأطفال، ويؤثر بشكل سلبي على دراسة الشباب نتيجة الارتفاع المتزايد

للوقت المخصص للشاشات temps-écrans خاصة مع غياب أي تأطير أو توجيه فتحولت بذلك الأجهزة أو الشاشات إلى "أسياد" أو معلمين" سيئين[7].

ويمكن إجمال آثار تأثير الأجهزة الالكترونية –الهاتف – على الطفل في آثار تربوية، وآثار اجتماعية، وآثار صحية.

لقد أدى تطور التكنولوجيا والاتصالات وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، إلى إدخال وإدراج مجموعة من التطبيقات، والعمليات التعليمية، حيث تنوعت تلك التطبيقات لتشمل المدونات وأدوات المشاركة ومنصات خاصة لتبادل الصور والمعلومات والصوت والفيديوهات.

أشارت بعض الدراسات إلى أن الهواتف لم تكن أداة ناجعة في التعليم والتعلم، بحيث إنها تستعمل لأغراض أخرى حتى وإن كانت الفئة المعنية تدعي في البداية أنها تستعمل لذلك الغرض، ولهذا فقد أصبح من الضروري مواكبة المدارس والمؤسسات التعليمية لوسائل الإعلام الحديثة والمتمثلة في وسائل التواصل الاجتماعي المرتبطة ببرامج الوقاية من العنف ومن المخدرات والتربية الجنسية نتيجة تزايد المحتويات العالمية ذات الإيحاء الجنسي، و الإيداء الجسدي، فقد بات التعليم أمرا بالغ الأهمية من أجل التقليل من آثار الوسائط العالمية، والأسرة كمؤسسة أساسية في هذه التنمية وجدت نفسها أمام تحدي كبير وعميق في مواجهة الأثار الاجتماعية للطفل[8].

يمكن القول إن الهاتف الذكي اليوم أصبح في متناول الجميع حتى أنه بات في متناول الأطفال والمراهقين، والأدهى من ذلك أن أغلب الأسر تحرص على توفير مثل هذه الأجهزة لأولادهم دون النظر إلى مخاطرها على الأطفال في سن مبكرة، والعواقب الوخيمة لتلك الأجهزة على صحة الأطفال ونموهم العقلي والنفسي.

وتجدر الإشارة أن الآباء وأولياء الأمور كثيرا ما تؤرق الهواتف بالهم لما لها من تأثير على نتائج أبنائهم وتحصيلهم الدراسي، وعدم التزام أبنائهم ومواظبتهم على الحضور بالفصول الدراسية، كما أن مسؤولي العملية التعليمية التعلمية يشتكون من ضعف التحصيل الدراسي، وعدم القدرة على الاستيعاب لدى بعض الطلبة والطالبات وذلك راجع في أغلب الحالات إلى إدمانهم واستعمال الهواتف الذكية بشكل مفرط[9].

وتتزايد شكوى الآباء بسب طول الوقت المستغرق من طرف الأبناء أمام الهواتف الذكية، وهذا لم يعد يقتصر فقط على الأسر في العالم الحضري، بل امتد ذلك إلى العالم القروي، حيث توجد أشغال فلاحية يستلزم القيام بها مشاركة أغلب أفراد الأسرة، وحينما يأخذ الهاتف حيزا زمنيا لدى الأبناء يتولد عندهم رفض ومعارضة الآباء في القيام بهذه الأشغال، مما يتسبب في تأجج علاقاتهم [10].

ويمكن أن أجمل هذه التأثيرات فيما يلي:

- ضياع الوقت فيما لا ينفع هذا الشاب
- الاتكال على الأجهزة بدلا من استخدام المجهود الشخصي
- عدم انتظام أوقات الأبناء نظرا لانشغالهم بالهواتف الذكية
- عدم القدرة على الاستيعاب والحفظ
- زيادة القلق والتوتر مما يؤدي إلى ضياع كثير من الأمور المهمة لدى الأبناء
- إحساس الأبناء بالإحباط وبأنهم غير إيجابين وأنه لا جدوى من هذه الحياة لأنهم يظلون يقارنون أنفسهم بشخصيات افتراضية.

والمؤسف في كل هذا ما نجده اليوم من مخلفات البنية التقنية، وشبكات التواصل الاجتماعي التي أتت على مجتمعاتنا العربية كما أتت النار على الهشيم، لتنميط الواقع الاجتماعي وتكبيله بعزل أفراده واستهدافهم الواحد تلو الآخر، وقد أشار لذلك الأستاذ مصطفى شكدالي متسائلا: هل العالم الافتراضي يقربنا من بعضنا؟ أم يبعدنا عن بعضنا؟ إذ أكد أن العالم الافتراضي هو واقع عن بعد، بمعنى أننا نتواصل مع أناس واقعيين حتى وإن انتحلوا صفات أو انتحلوا تسميات لهم، ولكن نبقى نتحدث مع أشخاص عن بعد، وبالتالي فإن هذا البعد الزماني والبعد المكاني الذي يمكن أن يصل إلى آلاف الكيلومترات، هل يمثل هروب من هنا الآن؟ وهل انخرطنا اليوم في العالم الافتراضي إذ نحاول أن نسوق ذواتنا بطريقة أو بأخرى هو هروب من الواقع وتأسيس علاقات افتراضية بمعنى آخر؟

حيث إن الهُنا والآن يحملان طابعا غير مغري، وذلك انطلاقا من مشاهداتنا العينية له، أما الهناك الذي يغلب عليه طابع المخيال، نتخيل في اعتقادنا أن هناك أحسن من هنا، وبالتالي فإن هذا الهروب هو الهروب من مرارة الواقع[11].

وهنا لابد من الإشارة إلى بعض الحلول للحد من تأثير الهواتف على الأبناء أو على الأقل تقليص هذا التأثير، فلا بد من التفاوض مع الأبناء بشأن المقدار المقبول من الوقت الذي يتم قضاؤه أمام هذه الأجهزة الإلكترونية، وتنبيههم على عدم التسرع للرد على إشعارات الهاتف، وترشيدهم إلى الاستعمال السليم له، وضرورة تنبيههم إلى مخاطر الاستعمال المفرط لهذه الوسائل على مستوى صحتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، كما يجب الحرص قد الإمكان على تنظيم مبادرات تروم تحصين المتلقين الشباب، من المضامين الخطيرة والضارة المنتشرة بكثرة في العالم الافتراضي، وفي هذا السياق يجب دعم كل الجهود الساعية إلى ترشيد استعمال الوسائل التكنلوجية وتهدف إلى حصانة مكونات الأسر من سلبيات هذا العالم.

دون أن ننسى أن على الآباء والأمهات أن يتحملوا كامل المسؤولية بوعي وحزم وصرامة لحماية ركائز ومبادئ الأسرة، فالأب راع ومسؤول عن رعيته والأم راعية ومسؤولة عن رعيتها.

خاتمة

وفي ختام الحديث عن هذا الموضوع الهام أقول: إنه يجب أن تتظافر جهود الجميع من أجل حماية الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى لبناء المجتمعات، ورهانها الحقيقي لكسب معركة الاستقرار المجتمعي، إذ يجب على الآباء الوعي بمخاطر الهواتف على علاقتهم كلما تم استعمالها استعمالا عشوائيا، كما عليهم توعية أطفالهم وترشيدهم للتعامل مع هذه الأجهزة، فقد اتفق أغلب الخبراء والباحثين في هذا المجال أنه لا يمكن الاستغناء عن التكنلوجيا الحديثة، بل أضحت جزءا هاما في حياتنا وتعاملاتنا، وبالتالي يجب استغلالها استغلالا سليما وتسخيرها في تنمية مهاراتنا وقدراتنا التعليمة والإبداعية بما يمكننا من التعامل مع التطورات المعاصرة، ومحاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه في ضل هذه المفارقات التي أصبحت تكسر كل ما تم بنائه في الواقع، فالتجربة أثبتت أن العزلة الاجتماعية فرضها العالم الافتراضي على الأشخاص وهي مفروضة على الأسرة بشكل أو بآخر، بمعنى أننا لما ننخرط فيها لأول مرة، نصاب بالانبهار وحب الاستكشاف لحيثيات هذا العالم، لكن سرعان ما يصبح الملاذ لكل أفراد الأسرة وملجأ للهروب من الواقع الذي يحيط بهم، ليصبح العالم الافتراضي واقعا جديدا، تظهر في توجهات الأسر وميولاتهم ومواهبهم أساسا فيما ينشرونه أو يكتبونه أو يعلقون عليه أو يعلقون به.

وأختم هذه بالإشارة إلى ضرورة استحضار جميع المقاربات سواء القانونية أو الاجتماعية أو النفسية لحماية الأسرة في ظل التحول الرقمي والذكاء الاصطناعي الذي يشهده علمنا اليوم.

الهوامش:

[1] . عمر بن عبد الله العمر، دور وسائل التواصل الاجتماعي في تغيير علاقات الأسرة المسلمة دراسة ميدانية، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم العدد الرابع 2018 ص 211

[2] . نصار أنور شحاتة، واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى طلبة كليات التربية بجامعة غزة ودورها في تعزيز الهوية الثقافية، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات العدد الأول 2016، ص،198

[3] . المطوع عبد العزيز، تأثير شبكة الواتساب على بعض المتغيرات لدى عينة من المتزوجين في المجتمع السعودي مجلة البحث العلمي في التربية، العدد 16. 2015، ص 88.

[4]. عبد الغني أحمد علي الحاوري، العلاقات الأسرية في ظل الإدمان على وسائل التواصل الاجتماعية، المركز الديمقراطي العربي برلين – المانيا الطبعة الأولى 2021، ص 61.

[5] . فوزية عبو، مواقع التواصل الاجتماعي، المجلة الجزائرية لبحوث الإعلام والرأي العام، العدد الثاني، 2020، ص 289

[6] . جعفر حسن جاسم الطائي، الأسرة العربية وتحديات العصر الرقمي، مجلة الفتح 2012 العدد 51 ص 277.

[7] .زكرياء سحنون، هل تشكل الرقمنة تهديدا على الأسرة ؟ مقال منشور بالمجلة الالكترونية العمق، https://al3omk.com/833495.html تمت زيارة الموقع بتاريخ 14 يونيو 2023.

[8] . عبد العزيز محمد عمر البلوشي، وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها على الطفل، المجلة الالكترونية الشاملة متعددة التخصصات العدد الثاني والخمسون، أكتوبر م2022، ص، 7-8.

[9]. إيمان قناوي محمد، الآثار الاجتماعية والأكاديمية لاستخدام الهواتف الذكية على الشباب الجامعي، مجلة البحث العلمي في التربية العدد العشرون م 2019 ص، 17.

[10] . إبراهيم أوخراز- علي العسري. وسائل التواصل الحديثة وتأثيرها على مكونات الأسرة، دراسة ميدانية على عينة من الأسر بمنطقة سوس، ماستر الوساطة الاحترافية وتدبير المنازعات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل مكناس، 2022م. ص 11.

[11] ، خلوف، محمود محمد مصطفى، تحولات الاتصال الأسري في ظل التواصل الاجتماعي الافتراضي، مجلة الاطروحة للعلوم الإنسانية العدد الرابع، أكتوبر 2021، دار الأطروحة للنشر العلمي، ص 173